

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[192] تَعْقِلُون؟! منهج الدعاة إلى الله يقول على أساس العمل أو لا ثم القول. فالدعاة إلى الله يبلّغ بعمله قبل قوله، كما جاء في الحديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "كُونُوا دُعَاةَ النَّاسِ بِأَعْمَالِكُمْ وَلَا تَكُونُوا دُعَاةَ بِأَلْسِنَتِكُمْ" (1). التأثير العميق للدعوة العملية يأتي من قدرة مثل هذه الدعوة على فتح منافذ قلب السامع، فالسامع يثق بما يقوله الداعي العامل، ويرى أن هذا الداعي مؤمن بما يقول وأن ما يقوله صادر عن القلب. والكلام الصادر عن القلب ينفذ إلى القلب. وأفضل دليل على إيمان القائل بما يقوله، هو العمل بقوله قبل غيره، كما يقول علي (عليه السلام): "أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَالْإِسْلَامُ أَحَدٌ كُفُّوا عَنِ طَاعَةِ إِلَّا وَلَا أَسْبَغُ كُفُّوا إِلَيْهِهَا، وَلَا أَنْهَافَكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ إِلَّا وَلَا أَتَنَاهَا قَبْلَكُمْ عَنْهَا" (2). وفي حديث عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام): "مَنْ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَصَفَ عَدُوًّا وَعَمِلَ بِغَيْرِهِ" (3). علماء اليهود كانوا يخشون من انهيار مراكز قدرتهم وتفرق عامة الناس عنهم، إن اعترفوا برسالة خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولذلك حرّفوا ما ورد بشأن صفات نبي الإسلام في التوراة. والقرآن يحث على الاستعانة بالصبر والصلاة للتغلب على الأهواء الشخصية والميول النفسية، فيقول في الآية التالية: (وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ) ثم يؤكد أن هذه الاستعانة ثقيلة لا ينهض بعينها إلا الخاشعون: (وَالْخَاشِعُونَ) وفي الآية الأخيرة من هذه المجموعة وصف للخاشعين: (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ زَنْهُمْ مَوْلَىٰ رَبِّهِمْ وَأَنَّ زَنْهُمْ إِلَٰهٌ رَّاجِعُونَ). 1 - سفينة البحار، مادة "عمل".

2 - نهج البلاغة، الخطبة 175. 3 - تفسير نور الثقلين، ج 1، ص 64.